الآداب

مجلة شهرية تعنى بشؤون الفكر

رئيس التحرير والمدير المسؤول
الدكتور سهيل ادريس

Rédacteur en chef et directeur
SOUHEIL IDRISS

العدد الثاني عشر
ديسمبر (كانون الاول)
السنة السابعة

7ème ANNEE

No. 12 Dec. 1959

بيروت
ص.ب ٤١٢٣ ـ تلفون ٣٢٨٣٢

AL-ADAB REVUE MENSUELLE CULTURELLE
BEYROUTH. LIBAN B.P. 4123
Tél. 32832

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

مصارعة الثيران في السياسة الدولية !

بقلم عبد الله القصيمي

كم نصاب بالذهول والحسرة حينما نجد شعبا بأسره يتحول في غمضة عين الى جهاز دعاية ... كل شيء فيه : الصحافة والاذاعة والكتاب والمعلقون والمفكرون ـ ان وجدوا ـ يتحولون كلهم طفرة مثل صدى ذليل يكررون وينشدون بنفس واحد واسلوب كاسلوب الصلاة رأيا معينا او حكما معينا او مذهبا او سبابا معينا او المطالبة بالسير في طريق معين لان حاكمهم او زعيمهم او قائدهم الروحي قال ذلك او رآه او اتخذه اسلوبا من اساليب دعايته ضد قوم او حكام اخرين او ضد شيطان او شبح اخترعه لغرض سياسي او لعداوة شخصية او لعقدة نفسية او لحقد او حيلة وطمعا ومكرا ..

... والشياطين والاعداء والخصومات والحروب التي اغرقت الانسان في كل تاريخه بالالام والمخاوف والعداوات انما نبعت من نفوس الزعماء والحكام والمعلمين وحيلهم لا من مصلحة الانسان او مصلحة الحياة !...

ومن الفظاعة ان يعادى شعب شعبا او حاكما او زعيما او مذهبا ويحول عداءه هذا الى عقيدة وتاريخ وشعار لان حاكما او زعيما او قائدا روحيا اراد هذا العداء وفرضه على شعبه واتباعه .

ومن الفظاعة المضاعفة ان يغير ذلك الزعيم او الحاكم رايه في اعدائه او معاملته لهم فيراهم اصدقاء وطيبين بعد ان كان يراهم خصوما اشرارا خائنين او ينتقل بهم من الصداقة الى العداوة ومن فاعلي فضيلة الى فاعلي رذيلة فيصبح اتباعه والخاضعون لحكمه او لتعاليمه ملزمين بهذا التنقل من النقيض الى النقيض !..

.. ولا يخطر على البال هوان او استعباد او تحقير لاي شعب افظع من هذا ...

وفي كثير من المجتمعات لايوجد رأي جماهير ولا رأي مفكرين . وانما يوجد رأي واحد وشهوة واحدة وجهاز يتحرك فيتحرك كل شيء باسلوب التتابع الالي !..

وانا لا استطيع ان احتقر كاتبا او مفكرا اكثر من احتقاري لذلك الكاتب او المفكر الذي يذم ويمدح ويؤمن ويكفر ويؤيد ويناقض ويغير مواقفه من الاشياء لان السماء او شهب السماء ورجومها ارادت ذلك او فعلته ... واني بصدق وعمق لاهنيء هؤلاء الكتاب والمفكرين على صفاقتهم وقدرتهم على التحرر من قيود الاحترام للذات !...

ودعارة الرأي والضمير والقلم والمذهب والعقيدة شر انواع الدعارات . وهؤلاء الذين يفسقون بعقائد الناس ومذاهبهم وافكارهم واقلامهم هم أفسق الفاسقين !..

والناس يعدون الحاكم الذي يغتصب اعراض النساء فاجرا يستحق المقاومة واللعنة . ولكنهم لايرون هذا الرأي في الحكام والزعماء والدعاة الروحيين الذين يغتصبون شرف الكلمة ويزنون بالعقول والعقائد والاخلاق !..

.... وما ابشع أن يتفق رأي الناس في الاشياء ، يؤمنون جميعا ويفكرون جميعا ويؤيدون او يعارضون بلا خلاف ـ يتحركون بالجملة كانهم حزم الحطب !..

اذا اختلف حاكم او زعيم او نبي او كاهن مع اخرين امثالهم من الحكام والزعماء والانبياء والكهان والشيوخ لم يوجد من يفكرون ويرون ويحكمون في هذا الخلاف ... وانما يوجد اتباع لهذا واتباع لذاك ، لايفهمون ولا يناقشون بل يمتثلون ويؤمنون ويهتفون .. واكثرهم اتباعا ومؤيدين هم اقواهم واوسعهم نفوذا ورشوة ودعاية وتضليلا ...

الادب الثوري

يحرره كبار الادباء والمفكرين العرب

انتظره في الشهر القادم

ولهذا لانجد رأيا ولا فكرا ولا حرية أو انصافا حين يشجر خلاف او يقع صدام بين هؤلاء وهؤلاء ولكن كفرا غبيا او ايمانا غبيا .. واقتناعهم بهذا او هذا ليس باقتناع ولكنه اتباع .. والمؤيد غبي جاهل وكذلك المعارض !..

ولن يجد البشر في كل مايجدون ماهو منكر وسخيف وعبودية مثل ان يجدوا ان الشعوب تتعامل : تتعادى وتتحارب وتتلاقى وتختار مذاهبها والهتها وافكارها واخلاقها واصدقاءها واعداءها من خلال احقاد الحكام والزعماء والدعاة الروحانيين وخلال اهوائهم ومخاوفهم وتوتراتهم وخصائصهم النفسية والعقلية !..

ولست اعتقد انه يوجد تشويه للانسان اخبث من هذا التشويه !

.... والعجيب جدا ان البشر لم يفطنوا حتى اليوم الى ان قادتهم هؤلاء هم الذين يصنعون خصوماتهم واحقادهم الكبرى التي تنتهي بالحرب او بالاستعداد الدائم للحرب ، وانهم هم الذين يقيمون الحدود والحواجز الفاصلة بينهم بالاسلاك الشائكة والمكهربة !..

واختلافات السادة والارباب وتنافسهم وتناقض اهوائهم ورغباتهم وما فيها من انحرافات لاتسدد حساباتها واسفاه من دماء هؤلاء السادة والارباب !..

ومصارعة الثيران لاتصيب الثيران وحدها !..

ويظهر انها ليست هي اسبانيا وحدها المتخصصة او المختصة بفنها المتوحش الذي عرفت به !..

واذا كان الحكام والقادة والاقوياء يصرون على ان يتقاتلوا ويتصارعوا ويفعلوا الجنون فعلى البشر ان يعرفوا كيف يجعلونهم يصنعون ذلك بصفتهم الشخصية ويمنعونهم من ان يؤدوا العابهم الخطرة فوق رؤوس الشعوب او بعضلات الشعوب !..

يجب عليهم ان يتبارزوا بالسيوف مبارزة فردية كما كان القدماء يفعلون !..

وهذا اقرب الى العدل والشجاعة واخلاق الفروسية !.

*

والمشكلة ان لكل انسان عام شخصية خاصة يحيا داخلها حينما يجب ان يكون انسانا عاما يحيا خارج ذاته . واخطر الاشياء ان يكون للانسان العام شخصية فردية ـ اي ان يحيا ويفكر ويتألم ويتلذذ من داخل ذاته ..

ان معنى هذا ان تخضع الاعمال العامة والمجتمعات لخصائص شخص واحد ولالامه وظروفه واخطائه ـ اي ان تتحرك الدنيا كلها وتساق بآلام فرد او بمخاوفه او بطموحه او بجنونه او بأي شيء من اخلاقه وتفسيراته النفسية او العقلية للمواقف العامة الكبرى !.

.... انه لا يوجد من يتصور ان جيلا كبيرا قد يمر من سم الابرة . ولكن الناس لم يزالوا يشاهدون ملايين الناس يمرون من خلال غلطة رجل واحد أو شهوته او كبريائه او من خلال تعاليمه المنحرفة ـ يمرون سراعا الى الموت او الى العبودية الدائمة ـ عبودية العقل والعقيدة والمذهب او عبودية العذاب !..

وقد حاول الانسان في تاريخه الطويل ان يتحاشى هذا المأزق ، فراح يفترض كائنات مركبة تركيبا عجيبا لتقود حياته وتشرف على العدالة والمنطق في هذا الكون بدون التزام لاحد الافتراضين .. وكأن ان افترض آلهة غريبة التكوين فيها بعض صفات البشر وليس فيها صفاتهم الاخرى لكي تكون هذه الآلهة قادرة وفاعلة ولكن بلا خضوع للصفات الاخرى التي تجعلها محكومة بها كما تحكم الزعيم او الحاكم او القائد شخصيته الخاصة ، فيكون في ذاته العامة محكوما بذاته الخاصة !..

... وقد تناقض الانسان في تصوره للاله : لقد تصور انه لابد ان يكون كاملا ، ثم تصور انه بدون النقائض والاغراض الذاتية لا يمكن ان يفعل شيئا او ان يدبر ملكه او يرغب في تدبيره . فحوافز الفضيلة والقوة هي حوافز الرذيلة والضعف !..

ثم تناقض مرة اخرى فذهب ينزه هذه الرذائل ويحولها الى فضائل لانها رذائل آله :

فصورة آلاله اذن في ذهن الانسان انه كائن له رذائل البشر وفضائل الآلهه ـ او له رذائل البشر دون فضائلهم .. لم يستطع ان يتصور هذه الفضائل الا في أطار هذه الرذائل !

لقد كانت دائما الصورة المثالية التي ابتكرها البشر لمن يقودون الجماعات او يحكمونها او يعلمونها صورة منزهة عن ذاتها ..

... فالذات خطر على الفضيلة وعلى القانون والعقل ولكن لا فضيلة ولا قانون ولا عقل بغير الذات ... المعلم او القائد الذي يخضع لذاته كيف يمكن ان يكون منزها او عادلا او عاقلا دائما ؟..

... ولكن من حسن الحظ ان المعلمين والقادة والحكام والزعماء الذين يحكمون المجتمعات هم محكومون ايضا بتلك المجتمعات على نحو ما حكما غير مباشر .. ولولا ذلك لكان الخطب اكبر !..

وكلما ضعف هؤلاء السادة ضعفت الاحتمالات التي تجعل الشعوب تتصافح بالسيوف ويزحف بعضها على بعض تحت رايات تقودها حشود متلاحقة من الحمقى والمجانين والمرضى والمنحرفين والطامحين والمقامرين بالبشر !...

*

انه لولا الحكام والزعماء والمعلمون الخالدون لهبطت الخصومات بين الشعوب الى اكثر من تسعين في المائة !..

عبدالله علي القصيمي